المجلس السابع والعشرون

دور الأوقاف في قيام الجهاد في سبيل الله ﷻ

المجلس السابع والعشرون

دور الأوقاف في قيام الجهاد في سبيل الله ﷻ

لعل من أوائل الأوقاف على الجهاد في سبيل الله ﷻ في تاريخ الإسلام هو ما أوقفه الصحابي الجليل (سيف الله المسلول) خالد بن الوليد ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خالدٌ فإنكم تظلمون خالدًا، فقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله»(١).

ولقد حذا حذو خالد ﷺ أبناء أمة الإسلام فجاهدوا الأعداء بأنفسهم وبذلوها رخيصة في إعلاء كلمة الله ورفع راية الدين والدفاع عن بلاد المسلمين وحياضهم، كما بذلوا أموالهم رخيصة في سبيل الله ﷻ ممتثلين قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وليس غريبًا أن يكون للأوقاف دور حربي وعسكري لصالح الأمة الإسلامية بعدما علمنا الدور العظيم والجوانب المتعددة التي تخدم فيها الأوقاف الحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.

لقد أسهمت الأوقاف بدور فاعل في الميدان الحربي؛ حيث أعطت -بسخاء- كل الإمكانات المادية لتجهيز الجيوش وشراء الأسلحة.

ومن مصارف الأوقاف في خدمة الجهاد في سبيل الله ﷻ:

رعاية أمكنة المرابَطة على الثغور لمواجهة خطر الغزو الأجنبي على بلاد الإسلام، فقد

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، مسلم (٩٨٣).

كانت هناك مؤسسات خاصة بالمرابطين في سبيل الله ﷻ يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من السلاح والطعام والشراب، وكان لذلك أثر كبير في صدّ غزوات الرّوم أيام العباسيين وصدّ الغربيين في الحروب الصليبية عن الشام ومصر وغيرهما من بلاد المسلمين.

ومنها: وقف الخيول والسيوف والنبال وأدوات الجهاد على المقاتلين في سبيل الله ﷻ وقد كان لذلك أثر كبير في رواج الصناعة الحربية وقيام مصانع كبيرة، حتى كان الغربيون في الحروب الصليبية، يغدون إلى بلاد المسلمين –أيام الهدنة– ليشتروا منهم السلاح وكان العلماء يفتون بتحريم بيعه للأعداء.

وأُوقفت أوقاف خاصة على المجاهدين في سبيل الله ﷻ والمرابطين في ثغور الإسلام وكان يصرف من غلّتها عليهم وبذلك كان سبيل الجهاد ميسّرًا لكل مناضل عن حياض بلاد المسلمين يود أن يبيع حياته في سبيل الله ليشتري بها جنَّة عرضها السموات والأرض[١].

كما أُنشئت أوقاف خاصة بافتكاك الأسرى في بلاد الإسلام، حيث كانت متوافرة بالمناطق الساخنة لجهاد الصليبية، كما في بلاد المغرب والشام ومصر أيام الحروب الصليبية، وكان لهذه الأوقاف هيئة عامة تشرف عليها عرفت باسم «ديوان الأسرى»[٢].

هذه نماذج قليلة لدور الأوقاف في تجهيز الجهاد والمجاهدين بالسلاح والتمويل بالمال والتموين بالغذاء، مما جعل حضارة الإسلام تسبق غيرها بقرون كثيرة في صناعة السلاح ومصانعه التي أمدّتها الأوقاف بالمال الكثير لكي تلبي واجبًا دينيًا فرضه الله ﷻ على المسلمين مما كان له أعظم الأثر في عزّة المسلمين وغلبتهم على أعدائهم، والله المستعان.

---

(١) ينظر من روائع حضارتنا، لمصطفى السباعى ص٢٠٢.

(٢) الإحسان الإلزامي في الإسلام: وتطبيقاته في المغرب د. التجكاني محمد الحبيب. (ص٥٥٦).

ورحم الله القائل:

ملكنا هذه الدنيا قرونا ... وأخضعها جدود خالدونا

وسطرنا صحائف من ضياء ... فما نسي الزمان ولا نسينا

حملناها سيوفا لامعات ... غداة الرَوع تأبي أن تلينا

إذا خرجت من الأغماد يوما ... رأيت الهول والفتح المبينا

وكنا حين يرمينا أناس ... نؤدبهم أباة قادرينا[(١)]

إن الجهاد في سبيل الله من أعظم أسباب عزّة المسلمين وغلبتهم وهو امتثال لأمر الحق ﷻ للأمة بالإعداد قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولما تخاذل المسلمون في الأزمان المتأخرة ورضوا بالدّون وتتبعوا الدرهم والدينار سلط الله عليهم أعداءهم مصداقا لقول حبيبنا ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[(٢)].

وإن الأمة الإسلامية اليوم في أحلَك أيامها فقد قطّعت أوصالها وتطاول عليها أعداؤها وتفرّق أهلها -إلا ما رحم ربي- فلم يَعدْ من يسمع لأنّات الثّكالى وصرخات اليتامى واستغاثات العذارى، والله المستعان، وكأن أبا البقاء الرّندي ﷺ يحكي حالنا يوم قال عن بلاد المسلمين المسلوبة (الأندلس):

أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبانُ

---

(١) الأبيات لهاشم الرفاعي.

(٢) رواه أبو داوود (٣٤٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١).

كـم يسـتغيث بنـا المستضـعفون وهـم ... قتلـى وأسـرى فمـا يهتـز إنسـانُ

مـاذا التقـاطع في الإسـلام بيـنكمُ ... وأنـتم يا عبـاد الله إخـوانُ

ألا نفـوس أبيّـات لهـا همـم ... أمـا علـى الخـير أنصـار وأعـوانُ

يا مـن لذلـة قـوم بعـد عـزهمُ ... أحـال حـالَهمُ جـورٌ وطغيـانُ

بالأمـس كـانوا ملوكًـا في منـازلهم ... واليـوم هـم في بـلاد الكفـر عُبـدانُ

لمثـل هـذا يـذوب القلـب مـن كمـدٍ ... إن كـان في القلـب إسـلامٌ وإيمـانُ

ولكنّ الأيام دول وإن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، وإن الخير باق في أمة محمد ﷺ وهي موعودة بالنصر والعزّ والتمكين والنصرة في البلاد متى عادت إلى ربها وسنة رسولها ﷺ ونصرت دينه، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

اللهم أصلح أحوال المسلمين وردّنا إليك ردًّا جميلًا.